المبحث التاسع

الإعجاز البياني

المبحث التاسع

الإعجاز البياني

في هذا المبحث تبيان للعجز عن التشبع بالمعاني الجديدة التي كان يطرقها القرآن، وهذا بعض المعجزة، إنه العجز عن الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية، وطريقة تناول الآيات للمعاني، فضلاً عن غير ذلك من المعجزات، بل يمكن لنا القول أن الإعجاز البياني سبق بقية أنواع الإعجاز التي حفل بها القُرآن الكريم التي وقفنا عليها، التي لم نقف عليها بعد.

وهكذا أنبأنا التاريخ بهذا العجز في عصر القرآن، ولكن لم تُطْو صفحة التحدي في العصر الذي بعده وأهله بعد على سلائقهم العربية، وفيهم من يود أنْ يتأتى على هذا الدين من أساسه، وما أيسره عليه لو دخل إليه من باب القرآن بقبول التحدي، ولكن التاريخ لم يسجل لأحد فيه قدرة على ذلك، بل حِيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل.

والمعجزة القرآنية البيانية، ليست معجزة آنية تحكمها الظروف، بل هو معجزة خالدة متطاولة مع امتداد الزمان، فإن عجز عنه أهل اللغة الفصيحة والبيان السليم، فهل سيتسنى ذلك لمن سيأتي من بعد؟.

لقد مضت القرون، وورث اللُّغة عن أهلها الوارثون، وكلما تطاول الزمان بين عصر المبعث والعصور التالية له، كان أهلها أشد عجزاً، وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز، لانحراف ألسنتهم وفساد سلائقهم، وكانت شهادة على إعجاز القرآن إلى أنْ تطوى صفحة هذا الوجود، ويرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. وإنْ كنا نذهب مذهب القائلين بأنَّ عجز القوم راجع إلى نظم القرآن وبلاغته، وشرف معناه ودقته؛ فما ذاك إلاَّ لأنه لم يصح وجه آخر لإعجاز القرآن سواه عند التحدي أول عهد العرب به، وأنَّ ما أضيف إلى إعجازه البلاغي من وجوه أخرى كالإعجاز

الغيبي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، فإنما كان ذلك عندما اكتمل عقد القرآن، ونظر الباحثون إليه جملة واحدة بوجوه المتكاملة.

بعد هذه المقدمة يمكن لنا أن نعرّف الإعجاز البياني:

تعريفه: يقصد بالإعجاز البياني:هو بيان كل آية من آياته التي يستخدم القرآن الكريم لها أساليب كثيرة في غاية الفصاحة والبلاغة تساعد على فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم وتمتع قارئ القرآن لشدة جمال هذه الألفاظ.[1] وعلى الرغم من أهمية ضروب الإعجاز فإن الإعجاز البياني على رأسها [2].

فإذن يمكن لنا أن نقول: إنّ أبرز هذه المناحي،هو تحدي القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ثم تحداهم بعشر آيات فعجزوا ثم تحداهم بآية فبهتوا، فقضية الإعجاز البياني بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث، فمنذ أن تلا المصطفى ﷺ في قومه ما تلقى من كلمات ربه، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حسَّ لغته وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً، إلا أن يسلم بأنه ليس من قول البشر.فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [3].

استعمل فيه كلمة الإغراء دون الإلقاء لتدل على الإلصاق والدوام، فإن هذا يمكن أن يدركه غير العربي حينما يفسر له. حيث إن القرآن الكريم يخاطب العقل والشعور معاً لأن القرآن لا يعتمد على التفكير وحدة ليقنع، ولكنه يتجه إلى إثارة الوجد أن إثارة وحية رفيعة، تحدث السرور في النفس فتقبل، أو تحدث الألم فيها فتأبى وترفض. حيث في القرآن الكريم مظهر غريب لإعجازه المستمر لا يحتاج في تعرفه إلى روية ولا إعنات، وما هو إلا أن يراه من اعترض شيئاً من أساليب الناس حتى يقع في نفسه معنى إعجازه، لأنه أمر يغلب على الطبع وينفرد به فيبين عن

(1) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن : 8.
(2) دراسة نقدية لكتاب الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية :44/8.
(3) سورة المائدة: من الآية14.

نفسه بنفسه، كالصوت البالغ في التطريب لا يحتاج امرؤ في معرفته وتمييزه إلى أكثر من سماعه.[1] وتكمن روعة الإعجاز القرآني في روعة فواصله الدقيقة وروعه نسجه المتماسك وذلك في رؤوس الآي والتشابك الجميل الأخاذ فيها،فقد عرّفت الفواصل بأنّها:حروف متشابكة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وفرَّق الداني[2] بين الفواصل ورؤوس الآي، الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس. وكذلك الفواصل تكون رؤوس آية وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية[3]. والفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدلُّ بها عليه.[4]والفواصل على وجهين: أحدهما: على الحروف المتجانسة، والآخر: على الحروف المتقاربة.[5]فالحروف المتجانسة[6] كقوله تعالى في فاتحة سورة الطور: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[7]، وأما الحروف المتقاربة[8] كالميم مع النون في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[9]،

(1) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن 99/6.
(2) هو: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، أحد كبار الأئمة في القراءات، أشهر كتبه: "التيسير في القراءات السبع"، و"المقنع في رسم القرآن"، و"المحكم في نقط المصاحف"، توفى سنة 444هـ.(انظر: إنباء الرواة، 341/2).
(3) يُنْظَرْ: المحكم في نقط المصاحف ، عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو ، 17/1، وينظر: الإتقان في علوم القرآن268/2.
(4) يُنْظَرْ: الإتقان في علوم القرآن268/2.
(5) يُنْظَرْ: المصدر نفسه.
(6) هي الحروف التي اتحدت مخرجاً واختلفت صفة، كحرفي الدال والتاء، فاتحادهما لأنهما يخرجان من طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا، أي مخرجهما واحد، وأما اختلافهما في الصفة، فحرف التاء له خمس صفات، وحرف الدال له ست صفات. انظر: لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن صابر غانم المنكوت:، 296.
(7) ورة الطور، الآيتان 1-2.
(8) هي الحروف التي تقاربت مخرجاً وصفة أو تقاربت مخرجاً لا صفة، أو تقاربت صفة لا مخرجاً. (انظر: المصدر : لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن ، 293.)

[1]، وكالدال مع الباء في قوله تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[2]، ثم قال: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾[3].

التجانس: هو بيان لأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللُّغة وهو على وجهين: مزاوجة، ومناسبة.[4] فالمزاوجة تقع في الجزاء كقوله: ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[5]، أي جازوه بما يستحق على العدل، إلاَّ أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان.[6]

والثاني من المجانس، وهو المناسبة، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[7]، فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر في قلوبهم فذهب عنها الخير. إلى غير ذلك من وجوه البلاغة التي تقدَّم ذكرها، وتعرضنا لبعضها بشيء من التوضيح مما يدلُّ على بلاغة القرآن، وحسن أسلوبه ونظمه، ودلالة ألفاظه.[8]

ونخلص من هذا العرض إلى:

أنَّ القرآن الكريم معجز في لفظه وأسلوبه، فما من حرف أو كلمة أو آية أو سورة إلاَّ وضع في موضعه اللائق به، لحكمة يعلمها مُنزله سبحانه، ولو نُزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب على أحسن منها، ما وُجد ذلك، ولن تتسع له اللُّغة بكلمة واحدة.

---

(1) ورة الفاتحة، الآيتان 3-4.
(2) سورة ق، الآية 1.
(3) سورة هود، الآية 72.
(4) يُنْظَرْ:الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،275/1.
(5) سورة البقرة، الآية 194.
(6) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن268/2.
(7) سورة التوبة، الآية 127.
(8) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن : 8.

حيث يقول الإمام الخطابي: (إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.. فتفهم الآن، واعلم أنَّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمَّناً أصح المعاني.. ومعلوم أنَّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدورهم).[1]

دعوى الترادف في القرآن الكريم:

التعريف في اللغة والاصطلاح: إنّ موضوع الترادف لا يُمكن أن يُحسم في مثال أو مثالين، فهو يحتاج إلى دراسات مستقلة، فمنهم مَن يُنكِر الترادف، ومَن يؤيده، وكان هدف الفريقين إثبات المزيّة، وليس الطعن في لغة القرآن الكريم، ومن ثمّ فإن ما يعنينا نحن في هذه الدراسة هو البحث عن سر التعبير بهذه الألفاظ، سواء أقيل هي من الترادف، أم نُفِيَ عنها ذلك، المهم ألا يكون القول بالترادف حائلاً دون البحث عن سر التعبير بها، أمّا أن ننعت الكلمات أو الأشياء دون البحث عن سبب الاستخدام فهذا غير مقبول في التحليل البيان،إنّ المفردة أصل الدقّة في التعبير القرآني، وذلك في اختيار الألفاظ، وإنتقاء الكلمات، فالمعرفة لها شأنّها، والنكرة لا تقل عن ذلك، ومثله إختيار المفرد أو الجمع، وغيره من أنواع التصريفات، شرط أن يكون ذلك محكوماً أو موَشَّحا بدقة المعنى، والوفاء بالقصد، إضافة إلى تحديد المدلول، حتى تُمسي المفردة كأنّها خلقت لهذا الموضع دون غيره، فلا المكان يُريد

(1) يُنْظَرْ: ثلاث رسائل الخطابي:55/7.

بساكنه بدلا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولا، كلمات قرآنية يراها كل واحد مقدَّرة على مقياس عقله، وعلى وفق حاجته.[1]

بعد هذه المقدمة نشرع في بيان الترادف لغة واصطلاحاً:

اماالترادف لغةً: هو من ردف ردف الردف ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف [2]

الترادف اصطلاحاً:

المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد والترادف التتابع مردفين يتبع بعضهم بعضا ويردف آخره أي يتبعه،وهو:الاتحاد في المفهوم أو توالي الألفاظ الدالة على مسمى واحد.[3]

موقف العلماء العرب من الترادف:

أ- المنكرون للترادف من العرب: أبو علي الفارسي: أسماء السيف هي صفات لمسمى واحد،وقال ابن فارس: في قعد معنى ليس في جلس، وهو مذهب أبي العباس ثعلب،أما أبو هلال العسكري[4] فقال: محال في لغة واحدة، أما الراغب الأصفهاني فقال: وجود فروق غامضة بين الألفاظ المترادفة.

ب- **المثبتون للترادف من العرب:** الأصمعي ابن خالويه التهانوي إبراهيم أنيس[5].

---

(1) يُنْظَرْ: كتاب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم :99

(2) يُنْظَرْ: لسان العرب 114/9مادة (ردف).

(3) يُنْظَرْ:التعريفات 253/1،وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم51/1 ،التعاريف 169/1

(4) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال.عالم بالأدب، له شعر نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، تآليفه كثيرة منها: (ديوان المعاني)، و(الفروق في اللغة)، و(جمهرة الأمثال)، و(كتاب الصناعتين) (يُنْظَرْ:تراجم من الموسوعة الشعرية55).

(5) يُنْظَرْ: بيان إعجاز القرآن، 23-25.

ودراسة اللفظ القرآني دراسة سياقية؛ أي دراسته في سياقه القرآني الذي استعمل فيه. وقد تكون في بعض الحالات المعين الوحيد للوصول إلى الفروق الظلال الدلالية التي تفرق بين ألفاظ لا تفرق بينها المعاجم ولا كتب اللغة والتفسير وتعدها مترادفة. وجدير بالذكر أن دراسة السياق تحتاج كذلك إلى علم مناسبات النزول، وقد نبه الزركشي إلى أهمية دلالة السياق في توضيح معاني الألفاظ، فقال:" إنها ترشد إلى تبين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته.[1] ويمكن لنا أن نبين أن لا ترادف في القرآن الكريم وذلك من خلال ما يأتي:

ألف العزة وياء الذلة:

1- ألف العزة: هي الألف في كلمة (عباد) التي وردت في القرآن الكريم حوالي مائة مرة، في معظمها وصف بها المسلمون المطيعون لله، لذلك لا نخطئ إذا قلنا: إن غالب كلمة (عباد) في القرآن يراد بها المسلمون المطيعون لله تبارك وتعالى.[2] كما قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[3] نمعن النظر في الألف الممدودة في وسط كلمة (عباد) نجدها توحي بالعزة والمنعة والرفعة والسمو، وكأنها مرفوعة الرأس بطاعة الله تعالى، منصوبة القامة باستمرار، وهذه العزة والرفعة والسمو نلحظها في حياة عباد الرحمن المطيعين لله تبارك وتعالى، وفي أخلاقهم ومعاملاتهم، يعيشون بعزة قوله تعالى: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[4].

(1) يُنْظَرْ: البرهان للزركشي: ، 200/2ونظم الدرر للبقاعي:563/16-564
(2) يُنْظَرْ: نظم الدرر للبقاعي:33/16-34.
(3) سورة الفرقان الآية : 63 .
(4) سورة المائدة الآية : 54 .

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله [1].

2- **ياء الذلة:** إذا كانت ألف (العباد) ألف عزة، فإن ياء (العبيد) هي ياء الذلة ! وإذا كان غالب استعمال (عباد) في القرآن للمؤمنين، فإن كلمة (عبيد) في القرآن وردت وصفاً للكفار والعصاة،وردت كلمة (عبيد) خمس مرات في القرآن الكريم فقال الله تبارك وتعالى عن كفر اليهود: ﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾** ﴾ [2].

ونمعن النظر في المواضع الخمس نجد أن الله تعالى ذكر في ثلاث مواطن في: (وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) [3] وهي تتحدث عن اليهود والكفار في الدنيا وأن الله ليس بظلام لهم يوم القيامة. تفسير مقاتل بن سليمان اي ليس يعذبهم على غير ذنب.[4]

بينما ذكر في (سورة فصلت) بقوله: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[5] فكلمة ربك فيه خطاب لرسول الله ﷺ والآية تتحدث عن عدل الله في منح الثواب للمحسن، وإيقاع العذاب بالكافر.[6] وذكر في (سورة ق) قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [7] [7] بضمير المتكلم لأن الآية تتحدث عن موقف بين يدي الله تعالى مباشرة يوم القيامة،وما أنا بظلام للعبيد قال: ما أنا بمعذب من لم يحترم[8].

---

(1) يُنْظَرْ: السيرة النبوية:77/8.
(2) سورة آل عمران الاية : 181 - 182 .
(3) يُنْظَر: آل عمران: 18والأنفال، 51 ،والحج :10، ينظر:نظم الدرر للبقاعي:563/16-564
(4) يُنْظَرْ: تفسير مقاتل بن سليمان 23/2.
(5) سورة فصلت الاية: 46 .
(6) يمكن مراجعة هذه الفروقات في كتب الأستاذ الدكتور محمد فاضل السامرائي.
(7) سورة ق الآية : 29.
(8) يُنْظَرْ: تفسير ابن أبي حاتم 10 /3309.

وكلمة (ظلاَّم) المبالغة في (ظلاَّم) باعتبار الكمية لا الكيفية، وقيل (ظلاَّم) للنسب كعطَّار أي: لا ينسب إليه الظلم أصلاً،و ليس ربك بذي ظلم، وقيل: ذكر الظلاَّم بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو (العبيد)، فذلك لرعاية جمعية العبيد، من قولهم: ظالم لعبده وظلاَّم لعبيده[1]، وفيه تنبيه إلى أنه لا يظلم من يختص بعبادته ولا من انتسب إلى غيره من الذين تسموا بعبد الشمس وعبد العزى ونحو ذلك [2].

عود على بدء: ننظر في الآيات التي ذكرت ياء الذلة في (العبيد) فنجد أن التعبير عن الكفار بالعبيد يوحي بالذلة والصَّغَار، لأن الياء جاءت وسط الكلمة منبطحة ملقاة بذلة، فالكفار أذلاء جبناء ضعفاء مهانون، في حياتهم وأشخاصهم ومواقفهم، لا يريدون العزة والرفعة، ولا يشعرون بالكرامة والأنفة، تجدهم أحرص الناس على حياة، وتراهم يذلون أمام المتسلطين الظالمين، لذلك لازمتهم ياء الذلة[3]. وفي قوله تعالى(الذين صبروا)أي استعملوا الصبر على ما نابهم من المكاره من الكفار وعلى(ربهم) أي المحسن بإيجادهم وهدايتهم وهم يتوكلون في كل حال على الله ﷻ.[4]

ميِّت و ميْت: كلمتان متقاربتان، الأولى بالتشديد والثانية بالتسكين، فما هو السر الدفين في هذا التفاوت في التعبير ؟ وما الفرق بين الكلمتين ؟

أولاً لا ترادف في كلمات القرآن الكريم، أي لا توجد كلمتان في القرآن بمعنى واحد، بل لا بدَّ من فروق دقيقة بينهما.[5]

وربما عدل القرآن عن صورة إلى أخرى تختلف عن الأولى في عدد الحروف أو الترتيب أو الحركات، وهذا التغيير يكون مقصوداً، لذلك لا بدَّ من حكم ولطائف من هذا التعبير والتغيير،الميِّت ـ بالتشديد ـ: هو غالباً ما يعبَّر به عن الحي الذي فيه

(1) ينظر: تفسير النسفي : 3 / 97 ، وروح المعاني ،ونظم الدرر للبقاعي:16/563-564 ، وفتح القدير 5 / 77 .
(2) يُنْظَرْ: المفردات في غريب القرآن، 323.
(3) يُنْظَرْ: لطائف قرآنية، 60.
(4) يُنْظَرْ: نظم الدر للبقاعي:11/42-44.
(5) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.

الروح، الميْت ـ بالتسكين ـ: هو الذي خرجت روحه منه،فالميِّت: مخلوق حي، ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، فهو ميَّت مع وقف التنفيذ، ونرى هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى وهو يخاطب رسوله الكريم ﷺ [1].

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2].

الآية الكريمة تخاطب النبي ﷺ وتخبره بأنه سيموت، وأن خصومه الكفار سيموتون، فكل حي (ميِّت) حال حياته ينتظر حلول الأجل وهي صفة لازمة.[3]

والميْت: هو المخلوق الذي مات فعلاً وخرجت روحه وأصبح جثة هامدة، وأطلق القرآن هذا اللفظ على:

(1) ينظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي 10.
(2) سورة الزمر الآية: 30 - 31.
(3) نظم الدرر للبقاعي:16/515-516.

البلد الميْت، فقال الله ﷻ تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [1].

والبهيمة الميْتة، قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [2].

والميْت: هو الإنسان الذي مات وخرجت روحه، وقد شبه الله تعالى الذي يغتاب أخاه بمن يأكل لحم ذلك الإنسان الميت فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3].

والكافر: قلبه ميْت، فهو موتاً معنوياً، رغم أنه يتحرك ويتنفس، ميْت لخلو قلبه من الإيمان، وحياته من الاستقامة، ولا يحيي قلبه إلا الإيمان: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [4].

ولعلنا نستشف هذه المعاني من حركات الكلمتين، فالميّت: ياؤه مشددة، ويشير إلى إقبال الإنسان الحي على حياته الدنيا، وانهماكه فيها، وحرصه عليها بكل ما أوتي من قوة وشدّة.

أما الميْت: الذي خرجت روحه، فياؤه ساكنة غير متحركة، ولعلها إشارة إلى سكون هذا الإنسان وهدوئه بعد خروج روحه، وتوقفه عن الحركة، فهذا شأن الإعجاز فهيهات، انه أعظم من كل ما نقول،وأبلغ وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب.[5]

(1) ورة يس الآية : 33 .
(2) سورة المائدة الآية : 3 .
(3) سورة الحجرات الآية: 12 .
(4) سورة الأنعام الآية : 122 .
(5) يُنْظَرْ: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي :9.

الكُره والكَره: كلمتان متقاربتان في البناء والتركيب والحركات، ومتقاربتان أيضاً في المعنى.

فالكُره: المشقة المرغوبة، كتكليف القتال الشاق على النفس، ولكن النفس المؤمنة ترغبه وتطلبه رغم مشقته وصعوبته، لذلك وصف بأنه (كُره) بضم الكاف، أي ثقيل وشاق، ولكنه مرغوب ومطلوب مراد للمجاهدين الصادقين، وذلك لثماره الإيجابية في الدنيا والآخرة.[1]

قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [2].

ويمكن أن أقول: لما كان حمل المرأة شاق صعب متعب مرهق، يضعف جسمها، ويؤثر في أعصابها ونفسيَّتِها، وقد يصيبها بالأمراض أو تودي بحياتها،علاوة على ذلك آلام المخاض، وأوجاع الطلق، ومشقة الولادة، ولكن رغم كل هذا فالمرأة ترغب في الحمل والإنجاب، وتستعذب هذه المشاق، وتطلب الحمل وتريده !!

ولهذا عبَّر القرآن الكريم عن حملها ووضعها بأنه (كُره) أي مشقة وصعوبة وثقل، فيه آلام وأوجاع وأخطار، لكنه مرغوب ومطلوب لدى المرأة، مقرونة باللذة والشوق، قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [3].

فسبحان من جعل الحمل والإنجاب حاجة فطرية، في كل امرأة سليمة سوية، لتستمرَّ الحياة !![4]

---

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(2) سورة البقرة الآية 216 .
(3) سورة الأحقاف الآية 15 .
(4) يُنْظَرْ: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي :66.

والكَره: وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات، بمعنى: الإكراه والإجبار والقسر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [1].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [2].

فالكافر أسلم لله رغم أنفه، وهو كاره رافض، لذلك اعتبر استسلامه (كرهاً) بفتح الكاف،ويسجد لله مكرهاً مجبراً، وليس هكذا استسلام المؤمن لله، ولهذا وصفه القرآن الكريم بأنه (طوعاً) وجعله مقابلاً ومضاداً لاستسلام الكافر وخضوعه الجبري لله تبارك وتعالى،حتى إنفاق المنافقين لأموالهم رغم أنوفهم، إنفاق بسبب القسر والإكراه، وذلك لأنهم يريدون به التمويه على المسلمين، ولهذا وصف الله إنفاقهم بأنه (كَره) وأمرنا أن نقول لهم[3]:﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [4].

ونهى القرآن الكريم عن وراثة المرأة كالمتاع والأثاث، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [5].

فقد كان الجاهلي إذا مات أبوه، ورث أمواله ومتاعه، ومن جملة ما يرث زوجة أبيه، فنهى الله تعالى عن هذا التصرف الجاهلي البشع وحرَّمه عليهم، والمرأة ترفض هذا التصرف وتكرهه، لأنه إجبار وقسر لها ولذا سماه الله تعالى في القرآن الكريم (كَرهاً) بفتح الكاف [6].

وقال الإمام الراغب الأصفهاني: الكَرْه: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمَلُ عليه بإكراه، والكُرْهُ: ما يناله من ذاته، وهو يعافه [7].

---

(1) سورة فصلت الاية : 11 .
(2) سورة الرعد الآية 15 .
(3) يُنْظَرْ: المفردات في غريب القرآن : 425.
(4) سورة التوبة الآية : 53 .
(5) سورة النساء الآية : 19 .
(6) يُنْظَرْ: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي :55.
(7) يُنْظَرْ: المفردات في غريب القرآن : 429.

الجسم والجسد: كلمتان متقاربتان في الحروف والمعنى، ولكن ما الفرق بينهما الجسم: إذا كان فيه حياة وروح وحركة، والجسد: التمثال الجامد أو البدن بعد وفاته وخروج روحه.[1]

قال الله تبارك وتعالى عن (طالوت) مبيناً مؤهلاته ليكون ملكاً على بني إسرائيل: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [2].

وقال تعالى عن اهتمام المنافقين بأجسامهم على حساب قلوبهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [3].

الآيتان تتحدثان عن الأحياء، فطالوت ملك حي، والمنافقون أحياء يتكلمون،أما كلمة (جسد) فإنها تعني: البدن جثة هامدة، قال تعالى عن ابن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، الذي ولد ميتاً مشوهاً: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [4].

كما وصف القرآن العجل (التمثال) الذي صنعه (السامري) من الذهب لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته، مستغلاً غيبة موسى عليه السلام، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [5].

(1) يُنْظَرْ: التعبير القرآني ،د.فاضل السامرائي44.
(2) سورة البقرة الآية: 247 .
(3) سورة المنافقون الآية : 4 .
(4) سورة ص الآية: 34.
(5) سورة الأعراف الآية : 148 .

وبهذا نكون قد علمنا الفرق بين الجسم والجسد.

همت به وهمَّ بها: أثبت القرآن الكريم لامرأة العزيز مراودتها ليوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال الله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [1].

ولكن هل همَّ يوسف بها كما همت به، بعض المفسرين نسب الهمَّ ليوسف عليه السلام بامرأة العزيز، وذهب إلى أن همه كان هم الفاحشة، ومعلوم أن الأنبياء معصومون عن الخطأ،ومنهم من نفى عن يوسف همَّ الفاحشة، واعتبره همَّ الضرب، أي همَّ بضربها ورفع يده عليها، ولكنه لم يضربها لأنه رأى برهان ربه، وهو شعوره بالخجل من ضربها، لأنه لا يليق برجل أن يضرب امرأة، فكيف إذا كانت سيدته،ولا أرى الهمَّ بالفاحشة لأنه منزه عن ذلك، ولا همَّ بالضرب لعدم توفر الأدلة على ذلك، ولكن تركيب الآية توحي بأنه لم يهمَّ بها، وتنفي عنه الهمَّ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ. وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فحرف (الواو) هنا استئنافية وليست عاطفة، ويجب الوقوف على الضمير (به) ثم يستأنف القارئ: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾، وجملة (هَمَّ بها) جواب الشرط، لحرف الشرط (لولا) مقدَّم عليها، فتصبح الجملة هكذا: (لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها).ومعلوم أن (لولا) حرف امتناع لوجود، فيمتنع تحقق جواب الشرط وهو (همَّ بها)لوجود فعل الشرط وهو (أن رأى برهان ربه).وبرهان ربه عز وجل هو: إيمانه القوي بالله تعالى، وشعوره بمراقبته، وحرصه على عدم مخالفته، واجتنابه للمعاصي والذنوب.ويمكن ان نذهب الى ما ذهب اليه صاحب البحر المحيط فهو ما نصبوا اليه ونطمئن حيث قال(أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إنّ جواب لولا متقدم عليها وإنْ كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة

(1) سورة يوسف الآية : 23 - 24 .

مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجداً لهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفي الهم. ولا التفات إلى قول الزجاج، ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيداً فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: وهمّ بها هو جواب لولا، ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب لولا إذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير لام تقول: لولا زيد لأكرمتك، ولولا زيد أكرمتك. فمن ذهب إلى أن قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد، ولا التفات لقول ابن عطية إنّ قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ولقد همت به، وإن جواب لولا في قوله وهم بها، وإن المعنى لولا أن رأى البرهان لهمّ بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف انتهى، أما قوله: يرده لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله تعالى: (إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فقوله: إنْ كادت لتبدي به، إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به،وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب لولا محذوفاً، ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا لهم بها،ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأنّ ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه. وقد طهرنا

كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري، وابن عطية، وغيرهما.[1]

إن الاستعمال القرآني فيه من الدقة في توظيف الألفاظ ما يحتاج إلى تأمل في تدبره وقد ذكرت أمثلة من الاستعمال القرآني مما ذكروه من المشترك وسأذكر مما عدّوه من الترادف لنرى أنه في النصّ القرآني ليس كذلك فليس هناك تطابق للمعنى في اللفظين وإنما لكل لفظ معنى دقيق لا يطابق رديفه الآخر، وسأذكر ثلاثة نماذج عدّها المعجم من المترادف وهي الكلمات:

1 ـ آنسَ وأبصرَ.

2 ـ زَوْج وامرأة.

3 ـ أَقْسَمَ وحَلَفَ.

ولم تكن هذه الألفاظ من المترادف إنما جاءت في النصّ القرآني كل لفظة بمعنى لا يطابق الآخر بل يكون معناها مختلفاً في سياق استعمالها.

1 ـ **الفعل (آنس) في المعجم:** أبصر، وآنس الصوت سمعه (وآنس ناراً) أبصرها أو نظرها أو رآها[2]. وهذه الألفاظ ليست مرادفة لآنس، فاستعمال آنس القرآني معناه أبصر مع الإحساس بالأنس والشعور بالراحة. وقد استعملت أربع مرات فيما رآه موسى من نار وهو يسير بأهله فآنس إليها وسكنت نفسه لأنّه كان مقطوعاً فعاد إليه الرجاء بالاهتداء[3] بقوله ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى

(1) يُنْظَرْ: تفسير البحر المحيط 5 /294.

(2) يُنْظَرْ :على سبيل المثال لسان العرب ، معجم مقاييس اللغة وغيرها.

(3) يُنْظَرْ : الكشاف للزمخشري 2 / 531 ، مجمع البيان 7 / 30 ، يُنْظَر: الإعجاز البياني للقرآن 217 ، ونظم الدرر للبقاعي:16/563-564

قال تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ (1)

وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (2).

وقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (3)

وقد استعمل الفعل مرة خامسة بمعنى شعرت بالشيء قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (4)

وتصريف الفعل " آنس " يبقى حاملاً دلالته الرقيقة الواضحة والإيناس: إبصار ما يؤنس والإبصار البين لا شبهة فيه كما يقول الزمخشري.(5)

أما الفعل المرادف " أبصر " أو " رأى " فليس له هذا الشعور والإيحاء عند الاستعمال ولا يمكننا أن نقيمه مكان آنس،ولا يطابق معناه فهو بمعنى نظر ببصره أو بمعنى تأمل، وهذا لا يطابق ذاك.

2 ـ أما (زوج وامرأة) فهما في الظاهر مترادفتان لكنهما في الاستعمال القرآني ليس كذلك، إن لفظة " زوج " في القرآن تعطينا العلاقة التي فيها النماء والحكمة والمودة فخطابه لآدم بقوله ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (6).

---

(1) سورة طه الآية :10.
(2) سورة النمل الآية :7.
(3) سورة القصص الآية :29.
(4) سورة النساء الآية:6.
(5) يُنْظَرْ:الكشاف 774/4.
(6) سورة البقرة الآية: 35.

وقـــال: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1).

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (2)

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (3).

وهكذا تكون دلالة لفظة زوج في بقية الآيات 70 الزخرف،56 يس،74الفرقان. تدل كلها على تلك المودة والعلاقة الرحيمة،أما لفظة " امرأة " فالاستعمال القرآني يحملها دلالة لا تطابق لفظة " زوج " فالمرأة في النصّ القرآني رمز لعدم المودة والخلاف في العقيدة والخيانة والعقم (4) وشواهدها قوله تعالى في امرأة العزيز ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (5).

وقوله ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (6).

وقوله ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾ (7)

وقوله تعالى في امرأة فرعون ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (8)

(8) المرأة في الآيتين اختلفت دلالة موقفيهما فالأولى ذكرت في موقف الخيانة لرجل صالح وفي الثانية ذكرت في موقف خلاف في الدين فهي مؤمنة وهو كافر وفي كلا

(1) سورة الروم الآية :21.
(2) سورة آل عمران الآية :15.
(3) سورة النساء الآية:57.
(4) يُنْظَرْ : الإعجاز البياني 229 230 .
(5) سورة يوسف الآية:30.
(6) سورة يوسف الآية 51.
(7) سورة التحريم الآية:10.
(8) سورة التحريم الآية:11.

الموقفين جاءت كلمة امرأة لا زوجة، وكذا عندما يكون تعطيل للنماء فهي امرأة كما جاء في نداء زكريا ربه في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [1] وهكذا يكون الاستعمال القرآني للفظة امرأة في بقية الآيات التي وردت فيها. " فإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل فامرأة لا زوج فالآيات في امرأة إبراهيم وامرأة عمران (هود71 والذاريات29 وآل عمران35)[2] وزكريا عندما طلب من ربه في الآية السابقة أن يهب له ولياً يرثه ذكر ذكر لفظة (امرأتي عاقراً) في ندائه، وحينما استجاب له ربه وتحققت الحكمة الزوجية ذكرت بلفظة (زوج) في قوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3] فحينما كانت عاقراً فهي امرأة وحين أصلحت وتحققت الحكمة فهي زوج،فاللفظان إذن غير متطابقين في الدلالة، وهناك فرق في دلالتها يظهر في سياق الاستعمال.[4]

3- الفعلان (أقسم وحلف) هما في الظاهر مترادفان ويبدو الفرق في دلالتهما في الاستعمال. فالفعل أقسم ومصدره القسم يأتي في سياق الإيمان الصادقة وعدم الحنث ؛ لذلك جاء في القرآن في مواضع مسنداً إلى الله تعالى في كل الآيات التي تبدأ بالحرف (لا) كقوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [5]

وقد يسند القسم إلى الضالين عند توهمهم الصدق أو إيهامهم به قبل معرفة حقيقتهم كقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[6]

(1) سورة مريم الآية:5.
(2) يُنْظَرْ:الإعجاز البياني للقرآن : 231 ، يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي:16/563-564 .
(3) سورة الأنبياء الآية:90.
(4) يُنْظَرْ: الإعجاز البياني 230 .
(5) سورة القيامة الآيات :1-2.
(6) ورة الإنعام الآية :10.

وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [1].

لقد كان الفعل (أقسم) ومصدره في حدود هذه الدلالات في الاستعمال القرآني إنه يستعمل في صدق اليمين وعظمته أو في إيهام الصدق ووهمه على لسان المنافقين والضالين قبل انكشافهم وفضحهم، أما الفعل (حلف) في الاستعمال القرآني فدلالته تفرق عن (أقسم) فسياق استعمال (حلف) يكون في مجال الحنث في اليمين وفي الغالب انه يأتي مسنداً إلى المنافقين كآيات التوبة التي فضحت زيف نفاقهم [2].

وقوله تعالى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [3] وقوله: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [4].

وقوله: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾ [5]

اذا جاءت دلالة (حلف) في باقي الآيات الكريمات [6]

كل ذلك يدعونا إلى التأمل في الاستعمال القرآني وما جاء فيه من الفروق في الدلالة بين المترادفات ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الترادف موجود لكنه بمعناه العام وليس موجوداً في الأصل فينبغي لنا أن ننظر إلى التطور في اللغة واستحداث الألفاظ الجديدة في الاستعمال أو الدلالات المستعمل منها فالمترادف من الكلم لم يوضع في وقت واحد في بيئة واحدة. فأما أن تكون أحداها أصلاً والأخريات صفات استعملت بمرور الزمن استعمال الأسماء كما ذكر ابن فارس أو أنها لهجات استعملت فيها

(1) سورة المائدة الآية 53.
(2) يُنْظَرْ: الإعجاز البياني للقرآن 221-222 وللمزيد من ذلك ينظر (سؤالات ابن الأزرق) فقد وردت فيها ألفاظ تفرق عن مرادفاتها في المعنى عند الاستعمال .
(3) سورة التوبة الآية :95.
(4) سورة التوبة الآية :42.
(5) سورة التوبة الآية:56.
(6) يُنْظَرْ: الإعجاز البياني للقرآن 221-222.

ألفاظ بمعنى متقارب وعند جمع اللغة عدَّها اللغويون مترادفات [1] ولكن ظل النظر الدقيق في الاستعمال يشعر بفروق الدلالة، وهذا ما أكده أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) وكذا ما أكده ابن فارس كما مرّ ذكره وشيخه أبو العباس ثعلب وأبو علي الفارسي. [2]

فأردتُّ.. فأردنا.. فأراد ربك: في سورة الكهف ذكرت هذه الكلمات الثلاث قال تعالى في الآية الأولى عن السفينة: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [3] حيث أضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب، لأنها لفظة عيب فتأدب، بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [4] فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تبارك وتعالى، وأسند إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [5] فاقتصر عليه، ولم ينسب الشرَّ إليه، وإن كان بيده بيده الخير والشر، والنفع والضر، إذ هو على كل شيء قدير،ولله تعالى أن يسند إلى نفسه ما يشاء، ويطلق عليا ما يريد، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة، والأفعال الشريفة، جلَّ وتعالى عن النقائص والآفات علواً كبيراً.

الآية الثانية قال الله تعالى فيها عن الغلام: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [6].

---

(1) يُنْظَرْ: المزهر1/ 369 .
(2) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي:16/563-564. (وانظر: الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي:66).
(3) سورة الكهف الآية : 79 .
(4) سورة الشعراء الآية : 80 .
(5) سورة آل عمران الآية : 26 .
(6) ورة الكهف الاية : 80 - 81 .

(فأردنا) وكأنه أضاف القتل إلى نفسه، والتبديل إلى الله تبارك وتعالى، والأشد كمال العقل والخلق، فأبدلهما الله تعالى ابنة، فتزوجها نبي، فولدت له اثنا عشر غلاماً كلهم أنبياء.

والآية الثالثة تتحدث عن الجدار قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [1].

حيث أسند الإرادة في الجدار إلى الله تبارك وتعالى، لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل، وغيب من الغيوب، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر ـ عليه السلام ـ أراد ذلك، فالذي أعلمه هو الله تبارك وتعالى أن يريده،وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلى الله تعالى،وقيل: أسند الإرادة إلى الله تعالى هنا لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ [2].

11 ـ خشية إملاق نحن نرزقهم من إملاق نحن نرزقكم: الفرق شاسع وواسع بين الكلمتين، لذلك نجد أن القرآن الكريم عبَّرَ مرة هكذا ومرة هكذا،فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [3] وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [4].

ففي الآية الأولى قدم رزق المخاطبين وهم الآباء، على رزق أولادهم، لأن الفقر موجود بالفعل، وهو السبب المباشر لقتل الأولاد، وما دام الفقر موجود بالفعل، فالإنسان يكون مشغولاً برزق نفسه قبل أن يشغل برزق ولده، وهنا يطمئنه الله تعالى على رزقه فيقول: ﴿ نحن نرزقكم ﴾ يا أصحاب الإملاق وإياهم، فنأتي برزقهم أيضاً،أما الآية الثانية، فالفقر غير موجود بالفعل، وإنما هو متوقع، فهم يخافون إن

(1) سورة الكهف الآية : 82 .
(2) سورة الكهف الاية82،والجامع لأحكام القرآن:11 / 39.
(3) سورة الأنعام الآية : 151 .
(4) سورة الإسراء الآية : 31 .

جاء لهم أولاد أن يأتي الفقر معهم، فيقول تعالى: ﴿ نحن نرزقهم ﴾ نحضرهم ونحضر معهم رزقهم، ونرزقكم أنتم أيضاً [1].

12 ـ السارق والسارقة الزانية والزاني: قدم السارق على السارقة،لأن السرقة وقوعها من الرجل أغلب،لأنه أجرأ عليها،وأجلد وأخطر،فقدم عليها لذلك،قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2].

وقدم الزانية على الزاني،لأن الزنى من المرأة أقبح، وجرمه أشنع، لما يترتب عليه من تلطيخ فراش الرجل، وفساد الأنساب، وإلحاق العار بالعشيرة، ثم بعد كل هذا، الفضيحة بالنسبة للمرأة (بالحمل) تكون أظهر وأدوم،لذا قدمت على الرجل،قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3].

قال القرطبي في تفسيره: قدمت الزانية في هذه الآية،من حيث كان في ذلك الزمان زنى النساء فاشٍ، وكان لإماء العرب وبغايا الوقت رايات،وكن مجاهرات بذلك،وقيل: لأن الزنى في النساء أَعَر[4]،وهو لأجل الحَبَلِ أَضَر،وقيل: لأن الشهوة في المرأة أكثر،وعليها أغلب،فصَدَّرَها تغليظاً لتُرْدِعَ شهوتَها،وإن كان قد ركب فيها حياء، ولكنها إذا زنت ذهب الحياء كله،وأيضاً فإن العار بالنساء ألحق، إذ موضوعهن الحجب والصيانة، فقَدَّمَ ذكرَهنَّ تغليظاً واهتماماً [5].فإن قلتَ: فلِمَ قدم الرجل في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] قلتُ: لأن تلك الآية في الحدّ والزنى، وهي في المرأة أقوى وهذه الآية في حكم النكاح،

(1) يُنْظَرْ:التحرير والتنوير: 125 .
(2) سورة المائدة الآية: 38 .
(3) سورة النور الآية : 2 .
(4) أعر : أي أكثر إثماً ، والمَعَرَّةُ: الإثم، وفي التنزيل: ﴿ فتُصِيبَكم منهم مَعَرَّة بغير عِلْم ﴾ قال ثعلب: هو من الجرب، أَي يصيبكم منهم أَمر تَكْرَهُونه في الدِّيات، وقيل: المَعَرَّة الجنايةُ أَي جِنايَتُه كجناية العَرّ وهو الجرب. ينظر:(لسان العرب:66/7).
(5) يُنْظَرْ: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي160/12، نظم الدرر للبقاعي:563/16
(6) سورة النور الآية : 3 .

والرجل هو الأصل فيه، لأنه الراغب والمبادر في الطلب، بخلاف الزاني فإن الأمر فيه بالعكس غالباً [1].

ويمكن لي أن اعبر بما يدور في خلجات نفسي في شأن الإعجاز وأقول:

إنّ القرآن الكريم قد نضدت عباراته نضداً مؤتلفاً، ونظمت فرائده نظماً متلائماً، وضعت كل لفظة منه في موضعها اللائق بها، ورصفت كل كلمة منه إلى كلمات تناسبها وتوائمها، وضعاً دقيقاً ورصفاً تاماً، يجمع بين أناقة التعبير وسلاسة البيان، وجزالة اللفظ وفخامة الكلام، حلواً رشيقاً وعذباً سائغاً، يستلذه الذوق ويستطيبه الطبع مما يستشفّ عن إحاطة واسعة ومعرفة كاملة بأوضاع اللغة ومزايا الألفاظ والكلمات والتعابير ويقصر دونه طوق البشر المحدود!

(1) يُنْظَرْ: فتح الرحمن لما التبس من القرآن ، للشيخ زكريا الأنصاري :99/6.